الاقطاعي الذي افتقر

مشاهد دراميّة في عشر لوحات

١٨٨٦

الاقطاعي الذي افتقر
مشاهد درامية في عشر لوحات

اللوحة الأولى

« أمام باب الكنيسة ، يقف الخدم ومعهم محفّة ، ينتظرون الإقطاعي وزوجته » .

المشهد — ١ —

« الخادم الأول والخادم الثاني والخادم الثالث » .

الخادم الأول : وها هو يذهبُ إلى الكنيسة !

الخادم الثاني : تأخّر حتى ذهب ! فمنذ عشرين سنة وأنا في خدمته ، لم يذهبْ إلى الكنيسة مرة واحدة !

الخادم الثالث : لا شك أنه يريد أن يتوب .

الخادم الأول : بدأ بالتوبة متأخّراً ! لقد أجرى كثيراً من الدموع ! وأمَرَ بقتل بطرس ، واختطف زوجةَ سيميون ، ابنة تيودور ، وعذّب المساكين ؛ الناسُ يلعنونه ، لكنه لا يكفّ عن قَصْفه وترفه . وهو يشرب من المساء إلى الصباح ، ويمارس الصيد ، ويتنزّه ؛ ولا يتصدّق على الإطلاق ؛ بل إنه لا يدعُ المتسوّلين يدخلون فِناءه . فكيف يَغْفرُ اللهُ مثلَ هذه الذنوب !

الخادم الثاني : أتظنّ حقاً أنه سيتوب ؟ ليس ذلك من شيمته . سوف يدنّس ، بالأحرى ، شيئاً في الكنيسة ! (في هذه اللحظة ،

تخدّد البروقُ السماءَ ويَقْصف الرعدُ) . يا إلهي !ماذا جرى ! السماءُ صافيةٌ وها هو الرعد يَقْصف !

المشهد — ٢ —

« يخرج من الكنيسة خادمٌ يركض » .

الخادم : شيءٌ مروّع ، ما فعَله سيدُنا !

(الناس جميعاً يحيطون بالخادم ليسألوه) .

الخادم الأول والخادم الثاني والخادم الثالث جميعهم في آن واحد : ما الخبر ؟ ماذا جرى ؟ احكِ ، بسرعةٍ !

الخادم : اسمعوا ! لقد دخل القدّاسَ قبل قليل ، وقبّعتهُ على رأسه وجلس في الوسط ونظر حوله . في هذه اللحظة ، صعد الشماسُ ليقرأ الأناجيل . وقرأ هذا المقطع الذي جاءَ فيه : « ويلٌ للذين يعيشون في الرخاء(١) . . . » فصرخ سيّدُنا : « أنت تكذب ، أعطني هذا الكتابَ المقدّس » . وأمسكَ بالكتاب المقدّس وأخذ يمزّقه بحنق . لكنه ما كاد يبدأ بتمزيق الكتاب المقدّس حتى بدأ الرعد يَقْصف ، حينذاك هربتُ .

المشهد — ٣ —

« يخرج الإقطاعيُّ وخلفه الجمهور » .

الإقطاعي: انظروا إلى هذا ! لقد تجرّأ على القول : إن المتسولين

(١) استشهاد غير دقيق من انجيل لوقا : ٦ — ٢٣ .

سيصبحون سعداء وأن الأغنياء سيفتقرون ! وكيف ذاك ، من فضلكم ؟ كيف أفتقرُ وعندي مئةُ قرية ، والمقاطعةُ كلها خاضعةٌ لسلطتي ؟ كل ما هو مكتوبٌ في الكتاب المقدّس كذبٌ ! ولا ّ يجب أنْ نَنْشر الكذب ؛ ولذلك انتزعتُ هذه الصفحات ووضعتُها في جيبي ؛وهكذا لن يقرأها أحدٌ . وأنا الذي عاش حياتَه غنياً ، سأقضي بقية حياتي في الرخاء . (مخاطباً الشعبَ) . حسناً ! وأنتم ممّ تخافون ؟ ألم يخبروكم أنكم يجب أن تستعدوا لحَوْش الطرائد . امضوا ! أسرعوا . سأعود إلى بيتي لأتناول فطوري ، ثم نسير بعد ذلك مباشرة في طريقنا .

(يصعد إلى المحفّة ؛ يسير به الخدم . الرعدُ يَقْصف .بروقٌ خاطفةٌ للأبصار) .

الإقطاعي: تستطيع أن ترعد . لستُ أخشاك . ارعدْ ! ارعد !

اللوحة الثانية

« الغابة . يُسمع صوتُ البوق . يصل صيادان » .

المشهد ــ ١ ــ

الصياد الأول : هل رأيتَ سيّدنا .

الصياد الثاني : إيه!لا . لم أره منذ أن ترجّل عن جواده .

الصياد الأول : كيف حدَثَ أنه ترك جواده ينصرفُ ؟ عندما كان على جواده ، جَرحَ أيّلاً ، فابتهج بذلك ، وترجّل وأراد أن يُجهز عليه ، لكن الأيل نهض على قوائمه

وأفلت منه . فانطلق هو راكضاً في إثرهَ . وهرب جواده .
أردْنا أن نلحق به فلم نُفْلح .

(يصل صياد ثالث) .

الصياد الثالث : ماذا تفعلان هنا ؟

الصياد الأول والثاني معاً : ننتظر سيّدنا .

الصياد الثالث : أنتما كمنْ يجري وراء نهار أمس . لقد عاد سيّدُنا .

الصياد الأول : كيف ! وجواده !

الصياد الثالث : أمسكوا به واقتادوه إليه . وامتطاه عند النهر .

الصياد الثاني : أنتَ تكذب .

الصياد الثالث : بالتأكيد لا ! رأيته بعينيّ . أنا أمسكتُ له بالركاب .

(يذهبون)

المشهد — ٢ —

« يُرى أيّلٌ يقف جامداً وراء مُنسغة . يبرز الإقطاعي حاسر الرأس وفي قبضته خنجرٌ » .

الإقطاعي: أين هو ؟ أين تراه يكون ؟ يا للشيطان ! لكني واثقٌ أنه كان هنا قبل قليل . يا لهم من أوباش سيئين ! أين كانت عيونهم ؟ تركوا جوادي يهرب . انتظروا قليلا . عندما أعود فسآمر بَجلْدكم جميعاً ! (يثبُ الأيّل فجأة ، فيجري الإقطاعي في اثره ، يُريان من بعيد وهما يظهران ويختفيان) .

(تُمثّل ، إن أمكن ، ساقيةٌ يَعْبرها الأيل سباحةً ، والإقطاعي يسبح في اثره ، بعد أن ترك ثيابه الفخمةَ على الشاطىء) .

اللوحة الثالثة

« الغابة . . إن كان هناك ساقية ، فيجب أن يكون الإقطاعي عارياً ، وإن لم يكنْ ، فيجب أن يكون مجرّداً من بعض ثيابه ، بلا بندقية ، ولا بوق صيد ، ولا سكين ، حاسر الرأس » .

المشهد — ١ —

الإقطاعي: يا شياطين ! يا أنذال ! يا أوباش ! انتظروا قليلاً حتى آمر بجلدكم جميعاً . ولا يُجيبون . انتظروا قليلاً ! ستدفعون ثمنَ ذلك كله ! يا بذرة الشيطان ! لقد ذهبوا وتركوني وحدي ! آه ! لا تفقدون شيئاً في انتظاري ! (يصيخ السمع) . لا أحد ؟ (يتمدّد على الأرض) . آه ! ذلك الأيّل الملعون ! إلى هنا أوصلني ! سأُضطَر إلى قضاء الليل في الغابات ! أيها الأوباشُ القذرون ! أيها الأوغاد ! ستعرفونني عندما آمر بجَلْدكم ! الواحد تلو الآخر ، أولاً . لن ينجو أحدٌ ! لن يُفلت أحدٌ وسوف يتكرر الجلدُ ! لن ينسوا هذا العقاب في زمنٍ قريب ! يا ناس ! يا ناس ! . . . لا أحد ! . . . أهناك أحد ؟ (ينهض) لا بدّ مع ذلك من أن أجد أحداً أو أن أبلغ النهر ، الذئاب قد تهاجمني هنا . يا ناس ! (يصرخ أبداً) . جفّتْ حنجرتي تماماً ! إذا استطعتم أن تحصوا الجلدات فاحصوها ! سأحطم لكم ظهوركم ! يا ناس ! يا ناس ! .

المشهد — ٢ —

« يصل قُطّاع الطرق وهم مدجّجون بالسلاح ؛ يحملون أكياساً ثقيلةً . يُشعلون ناراً عظيمة » .

قاطع الطريق الأول: قديماً ، كان المارةُ يخافون قُطّاع الطرق ، أما الآن فنحن الذين نخافُهم ؛ هذا بسبب ذلك الصيد اللعين للإقطاعي في هذه الغابة ؛ لا سبيل إلى الهدوء !

القاطع الثاني : أجل . يا لسوء الحظ ! انقضى النهارُ ولم نجدْ شيئاً ، لم ننهبْ شيئاً ! يجب علينا ، في نهار غد ، أن ننهض مبكّرين لنطوف الدروب بحثاً عن الغنيمة !

القاطع الأول : ليس هناك من داعٍ شديد للشكوى من حياتنا ، لكنْ ، ها نحن غيرُ مرتاحين ! .

القاطع الثالث : ولمَ تخافان الإقطاعي إلى هذا الحدّ ؟

القاطع الأول : ألا تَفْهمُ إذن ، يا غبيّ ، أن الإقطاعي ليس فلاحاً بسيطاً ؛ فهو عندما يخرج ، يصطحب مئةَ فارسٍ بسلاحهم ، ومئتي راجلٍ ، ولو خالَفَنا الحظّ وعَرَفَنا فلن يبقى منا أثرٌ .

القاطع الثاني : صحيح ! ولذلك هربْنا !

القاطع الأول : ماذا تظن ؟ يجب ألا تُنازع غنياً ولا تُصارع قوياً . كل هذه الغابات التي تراها فهي له ، والقريةُ كلها له أيضاً ؛ هذا رجلٌ له شأنهُ ؛ إنه قوي جداً . وهو قاطع طريق مثلنا ، لكنه من طبقة أخرى لا أكثر . (في هذه

اللحظة تُسمع نداءات الإقطاعي ولعناتُه خلف المسرح) .
آه ! آه ! يا شياطين ! يا لصوص ! انتظروا قليلاً ،
سأُريكم مقدرتي ! يا ناس ! يا ناس ! يا ناس !

المشهد — ٣ —

« قُطّاع الطرق يصيخون السمع) .

القاطع الثالث ، واثباً على رجليه : عجباً ! كأنه غول ؛ هذا غولٌ يعوي !

القاطع الثاني : انتظرْ لأذهب وأرى إن كان غولاً حقاً . (يرى الإقطاعي وهو يقترب) . أرأيتَ أنه ليس غولاً ! هذا شخص ضل طريقه ؛ وهو سكران ، من دون شك . يا صاحب الأناقة ! أنتَ !

الإقطاعي : ، يُشاهدُ قطّاعَ الطرق : آه ! ها أنتم هنا ! تركتم بنذالة سيدّكم ومعلّمكم وجلستم هنا مرتاحين حول النار ! لكن انتظروا قليلاً !

(ينقضّ عليهم ويأخذ بضربهم . ينهض قاطعُ الطريق الأول ويمسك به من قبة ثوبه .

القاطع الأول : آه ! قلْ لي ، أنت باسل ! أنتَ محارب !

(يمسكُ بيديه ويهزّه) .

الإقطاعي : يا قذر ! يا حقير ! يا وغد ! يا شيطان ! انتظرْ قليلاً .

(يتخبّط)

القاطع الأول : هل رأيتم قط أرعن مثل هذا الأرعن ! اعطني حَبْلاً !

الإقطاعي: ماذا ! تجرؤون على ذلك ! ألم تعرفوا سيدكم ؟ سأسلخ لكم جلودكم ، حتى إذا سلختها شنقتكمْ من أرجلكم !

القاطع الثاني ، رابطاً يديه خلف ظهره : يا سيدور ! أَحْكِمْ الربطَ بينما أجْلدُه أنا حتى أعلّمه كيف ينْسى سيادتَه .

(يأخذ سوطاً) .

القاطع الثالث : ليس له هيئةُ الإقطاعي على الإطلاق .

الإقطاعي: نعم سآمر بشنقكم .

القاطع الأول ، يجلده بالسوط أول جلدة : هذه واحدة ! هيّا ، يا سيّد ! اقفزْ قليلا ، اقفزْ !

الإقطاعي: آي ! آي ! لا لا !

القاطع الأول : وهذه الثانية ! أهكذا كنتَ تَنْوي أن تجلدنا أم بطريقة أخرى ؟

الإقطاعي: آي ! آي ! اوه ! أقسم لكم أنني سيّدكم !

القاطع الأول : طبعاً ، صدّقْتُكَ ! ومن أجل ذلك بالضبط أجْلدك ! (ينفجر ضاحكاً) .

(ينفجر ضاحكاً) . انتظرْ ، يا صديقي ! سوف أعرّيك ، وهكذا سنرى بصورة أفضل أنك السيّد الإقطاعي .

(يَضْربه قطّاعُ الطرق ، ويربطونه بشجرة ، ويُعرّونه) .

اللوحة الرابعة

المشهد — ١ —

« الصباح ، في الغابة ؛ الإقطاعي مربوطٌ بجذع شجرة وهو عارٍ تقريباً . إنه يئنّ » .

الإقطاعي: اوه ! آي ، آي ! ماتتْ ذراعاي ! اوه ! كم سيكون انتقامي عظيماً ! سآمُرُ أن يُجْلَدوا بقضبان الحديد ! اوه ! ظهري مُوجَعٌ ، محطّمٌ ! ستَدْفعون ثمن ذلك كله! انتظروا حتى ألقاكم ، أيها المستهترون ! ستدفعون ثمن ذلك ، أيها اللؤماء ! آوه ! آه ! جفّتْ حنجرتي تماماً ! سأسجنكم في الزنزانات ! في السجون الخفيّة ! سأدعُكم تهلكون فيها من الجوع .

المشهد — ٢ —

« يصل راعيان : شابٌ وعجوز » .

الراعي الثاني ، العجوز : آه ! يا للمصيبة ! يا للمصيبة ! مَنْ الذي ارتكب هذا الذنبَ البشع ؟ لا شكّ أن قطاع الطرق هم الذين نهبوه وربطوه .

الإقطاعي ، وقد رآهما : هلا استعجلْتما ، أيها الغبّيان ! مالكما تقفان هناك جامديْن ؟ أسرعا ! عجلاً ! خلّصاني على عجل !

الراعي العجوز : اولئك ناسٌ لا يخافون غضبَ الله ! . . انظرْ كيف

عذّبوه .(يدنو ويفكّ الحبال) . أرأيتَ هذه العُقدَ المُحْكمة ! أعطني سكينك ، يا جان .

الإقطاعي: كفاكَ تراخياً ! لمَ تتباطأُ ، أسرعْ ، أيها الخامل !

الراعي العجوز ، يقطع الحبال : وبعدُ ، يا صديقي ! أتريد شيئاً من الماء ؟ جان ، هات ماءً وخبزاً !

الراعي الشاب ، يحمل إبريقاً من الماء ورغيفَ خبز : خذْ ، يا صديقي الطيّب ، كلْ واشبعْ .

الإقطاعي ، يستلقي على الأرض ويئن ، هائجاً : يا لقطّاع الطرق الحقراء ! ماذا فعلوا بي ؟ لكنهم لن يفلتوا من انتقامي !

الراعي الشاب : يا عمّي ، إنه يهدّد .

الراعي العجوز : دَعْه وشأنه ؛ إنه يَهْذي ، وسيثوب إلى نفسه . يجب أن نغطيّه .(يخلع قفطانه القديم ويهمّ بتغطية الإقطاعي). خذْ ، يا صديقي المسكين ، ضعْ هذا الرداءَ عليكَ .

الإقطاعي، ينظر إلى القفطان القديم دون أن يشكره : أنت مجنون ! أتجرؤ أن تُلقي عليّ هذه القذارة ! هذه البشاعة ! أتعرفُ مَنْ أنا ؟ أنا سيّدُك! اخلعْ بلوزتك ، ولبدتك ، ونفّضْهما بعناية ؛ وحينئذ ربما قبلتُ أن ألبسهما ! وبعد ذلك على الفور خذني إلى القصر ، قصري ، قصْر سيّدك ومعاّمك .

الراعي العجوز : لا مجالَ للنقاش ! فهو ، بلاشك ، مجنون ؛ إذ يزعم أنه السيّد الإقطاعي ؛ لقد رأيتُ سيّدي أمس ،

أمس بالذات ، رأيتُه بعينيّ هاتين ، لكنه كان ممتطياً جواده الجميل ، وكان يجري نحو قصره . (مخاطباً الإقطاعي) . هذا يكفي ؛ ضَعْ على ظهركَ ما أعطيناك ، وامضِ إلى القرية ، وهناك ستَسْتريح !

الإقطاعي، واقفاً على قدميه : آه ! أنت حقاً كالآخرين ! لستَ خيراً منهم ! ستنال العقابَ نفسه ! كيف تجرؤُ أن تكلّم سيّدك وقبعتك على رأسك . (ينزع عنه بعنف قبعة اللبد الكبيرة ويدحرجُها على الأرض) أعْطني بلوزتك .

(يضعُ يده على بلوزة الراعي العجوز) .

الراعي العجوز: يلتقط قبّعته ، ويدفع الإقطاعي عنه ، بلطمة مفاجئة ، ويبتعد : لننصرفْ ، يا جان . تعال ، يا صغيري . فهو مجنون تماماً .

الراعي الشاب : كيف ! فككْناكَ من الشجرة ، وأطْعمناكَ ، وأعطاكَ قفطانهُ ، وتنوي أن تَضْربه ؟ دَعْهُ وشأنه أو حذار !

(يرفع سوطه ويدفع الإقطاعيّ بعنف شديد حتى يُصاب بالذُعر . يبتعد الراعيان ، بينما يستلقي الإقطاعي ويأخذ بالأنين) .

المشهد — ٣ —

الفلاحون يمرون بدورهم : انظروا ، هذا رجل مستاق هنا .

الإقطاعي: أيها القرويون ! اجروا إلى قصريَ لتُعلنوا أن سيدَكم قد عُثِرَ عليه . ليرُسلوا إليّ عربةً وخدماً ، وخُذوني ، في أثناء ذلك ، إلى كوخٍ لكي أستريح .

شيخ : ماذا تَحْكي ؟

الإقطاعي: إنني سيدكم !

الشيخ : كيف ، أنت سيّدنا ! سيّدنا في بيته ، ثم إن سيّدنا لا يجري وقدماه حافيتان .

الإقطاعي: أنت غبي ، لا تفهم شيئاً . كنتُ أُطاردُ أيّلاً ، وضللتُ طريقي . أنا سيّدكم الوحيد ، وهم يبحثون عني .

الشيخ : كفى كذباً . سيّدنا مرّ أمامنا أمس ، وقد رأيناه بذاته ، وفي هذا الصباح ، جاء أحدُ حجّابه ليرانا . ونحن نعلم جيداً أن سيدّنا في بيته .

الإقطاعي: يا عصابةً من قطّاع الطرق ! أنتم تكذبون ! وسترون ! صبراً !

الشيخ : كفى كلاماً ، يا صديقي الطيب ؛ لقد ركلَكَ الراعيان ، على ما يبدو . ألم يكفك هذا ؟ أتريد ركلاً بعد ؟ اهدأ إذن وامضِ في طريقك !

الإقطاعي: هم يرفضون أن يفهموا شيئاً ! اصغوا قليلاً . اصغ ،أنتَ ! ألستَ تصدّق أنني سيّدك ؟ أعطني ورقةً وريشةً وسأكتب إلى زوجتي ! ستعرف خطّي وسأضيفُ شيئاً لا يعرفه أحدٌ غيرها وغيري .

الشيخ : كفى ثرثرةً ! انصرفْ ! اغربْ عن وجهي !

الفلاح الأول : على كل حال ، ليكتبْ ! ولنأخذْهُ إلى القرية .

(ينهضون الإقطاعي السريعَ الغضب ويحملونه إلى القرية) .

اللوحة الخامسة

المشهد – ١ –

– كوخ –

الإقطاعي: اوه ! ما أشدّ تعبي ! لكنْ لماذا لا يأتون ؟ كان يجب أن يكون الجوابُ هنا ! إن زوجتي النبيلة ستسعدُ حين تراني على قيد الحياة . آه ! جاء شخصٌ أخيراً . (يصل رسولٌ). ما معنى ذلك ؟ أين عربتي ؟ وأينَ خدمي ؟

الرسول : ما أكثر عجلتَكَ ، أنتَ ؟

الإقطاعي: كيف تجرؤُ على مخاطبتي بهذه اللهجة ؟

الرسول : أجْرؤُ لأن سيّدنا قد أمرني بذلك .

الإقطاعي: أي سيّد ؟

الرسول : السيد الحقيقي . وهو ليس مثلك . قال ما يلي : ليُطْرَدْ من هنا ، وأحبّ ألا أسمعَ باسمه بعد الآن ! فهمتَ ، إنه لا يريد أن يسمع باسمكَ بعد الآن .

الإقطاعي: آه ! يا إلهي ! يا إلهي ! وزوجتي ! بم أجابت ؟

الرسول : زوجتُك ، لا أدري بم أجابت ، لكن زوجة سيدي قالت : « هذا لا يُصدّق ! كيف يمكن أن يوجد مثل هؤلاء

الغشّاشين ؟ اطردوه ، هذا الغشّاش ! »

الإقطاعي: يا إلهي ! يا إلهي ! ماذا سيحلّ بي ؟

(ينهار ، ويبكي) .

صاحب الكوخ : يا لها من قصة ! يا صديقي ، فشلتْ حيلتُك ! انصرفْ برعاية الله !

اللوحة السادسة

« فناء مزرعة ، الإقطاعي مشغول بتقليب الزبل بصحبة فلاّحة » .

الفلاحة : هذا رجل لا يُحسن أن يُمساك بالمذراة ! (تلتقط المذراةَ من يده بحركة نزِقة) . أعطني المذراة. تبدو كأنك سيّد أخرق !

الإقطاعي: وَددتُ لو أُحسنُ ذلك ، لكني لم أَستطعْ .

الفلاحة : لكنك تُحسن أكلَ خبزي !

الإقطاعي: آه ! ما هذه الحياة ! ما هذه الحياة البائسة ! الموتُ أفضل منها !

الفلاحة : ضع نفسك في هذا العريش وجُرَّ .

(يطيعُها الإقطاعي ، يربط نفسه ، ويشدّ بجهود مضنية ويقع) .

الفلاّحة : لستَ صالحاً حتى لهذا ! أنتَ لا تصلحُ لشيء ! ما هذا الشخص الحقير الذي أُرْسِلَ إليّ !

الإقطاعي: آه ! ما أجملكِ ، يا عزيزتي !

الفلاّحة : آه ! وها أنتَ تَغازلني الآن ! (يصل الفلاح) ما هذا الشخص الحقير الذي أرسلتَهُ إليّ . هو لا يصلح لشيء . وهو يغازلني .

الفلاح : ماذا ؟ سأعلّمكَ كيف تعيش معي . اغربْ عن وجهي ؛ يا لكَ من إقطاعي ! .

اللوحة السادسة

لمشهد — ١ —

« قرية . يمرُّ الإقطاعي حافي القدمين ، حاسر الرأس ، مرتدياً ثياباً ممزّقة ، رثّة ؛ يضطجع مُنْهكا على حافة الطريق » .

الإقطاعي: ها أنا أخيراً على الطريق الصحيحة ! سأصلُ الآن إلى بيتي . فاذا وصلتُ بيتي عرّفتُ بنفسي . لا يريدُ أحدٌ هنا أن يصدّق أنني السيّد ؛ كلهم يُهينونني ، ولا شيء غير ذلك ! إن لم أكشف عن شخصي تصدّقوا عليّ ، لكنْ ، ما أن أُعرّفهم بنفسي حتّى يطردوني . لم آكلْ شيئاً طوال هذا اليوم . طيّب ! لن أقول بعد الآن : إنني السيّد .

(يدنو من كوخ ، وهو يتكلّم ، ويدقّ على النافذة) .

الرحمةَ ، أعطوني شيئاً آكلُه . (تنفتح النافذة ؛ ويُرى رأسُ فلاّحة يبدو من إطارها) .

الفلاّحة : عجباً ! متسول ! أنت ، متسوّل ؟ ألا تَخْجلُ ؟ أنت

في صحة تامة ، سليمُ الجسم ، ويمكنك أن تشتغل ؛
أتبلغُ بك الوقاحةُ أن تطلب الصدقة ؟

الإقطاعي: لكني لستُ متسوّلاً ، أنا السيدّ !

الفلاّحة : السيد لا يأتي ليدقّ على نوافذ الناس .

(تُغلق مصراعي الخشب وتتوارى) .

المشهد – ٢ –

« على الطريق يسير متسوّلان ، أحدهما أعمى والآخر مقطوع اليدين . يقتربان بدورهما من النافذة » .

المتسوّلان معاً : بجاه المسيح !

(تفتح الفلاّحةُ بحذرٍ نافذتَها ، تنظر وتعطيهما خبزاً وهي تقول :)

الفلاحةُ : خُذا ! امسكا ! بجاه المسيح !

(يجلس المتسوّلان ويأكلان ، بينما تُغْلق النافذة) .

الإقطاعي ، يدنو منهما : الرحمة ! أطعماني .

الأعمى : ولماذا لا تطلب الصدقةَ بنفسك ؟

الإقطاعي: طلبتها ! وألححتُ في الطلب فأبوا أن يعطوني شيئاً .

المقطوع اليدين : هيّا ! خُذْ ! أعطه خبزاً .

(يعطيانه قطعة خبز يلتهمها التهاماً) .

المتسوّلان ، يسألانه : قلْ لنا ! مَنْ أنتَ ؟ من أينَ جئتَ ؟

الإقطاعي: أوه ! لم أعدْ أشتهي أن أرويَ ذلك ! فما ان اتكلّم حتى يسبّني الناس ويضربوني . لا يريد أحدٌ أن يصدّقني . لستُ أُحسنُ العمل ؛ وأشتهي أن آكل ! أنا جائع ! ارحماني ! خُذاني معكما ! سأكافئكما مكافأةً عظيمة ؛ ستكونان سعيدين ؛ سأَبْني لكما سعادتكما !

المقطوع اليدين : ولمَ لا ! سنأخذُه ! وسيَحْملُ الكيس .

الأعمى : إذا شئتَ ، فنحن موافقان !

(ينهض المتسوّلان ويمضيان ، وهما يقودان الإقطاعيَّ معهما) .

اللوحة الثامنة

المشهد — ١ —

« في بلاط قصر الإقطاعي . خَدمٌ . الناس في كل مكان يعزفون ويرقصون . ومن البوّابة الكبرى المفتوحة ، يُرى المتسوّلان والإقطاعي وهم يدخلون مرتّلين الصلوات » .

البوّاب ، يتقدّم نحوهم : الدخول ممنوعٌ هنا . انصرفوا ! افسحوا المكان !

صيادٌ : حذارِ ! حذارِ ! وإلا أطْلقتُ كلابي !

(يتابع الإقطاعي التقدّم وحده . تنقضّ الكلاب عليه لتعضّه) .

حوذيٌّ : انظرْ إلى هذا البطل ! انتظر ، يا صديقي . ستعضّ الكلابُ ربلات ساقيك .

(أثناء هذا الوقت تعضّ الكلاب ساقي الإقطاعي المتشرّد) .

الإقطاعي: آيْ ! آيْ !

(يُمسك به البواب من قبّة سترته ويجرّه إلى المخرج ، ويهزّه بعنف) .

البواب : أغربْ عنّي ، ما دمتَ حياً ! هيا ! اخرجْ !

الإقطاعي: جئتُ . . .

(في هذه اللحظة ، يُرى إقطاعيٌّ آخر وهو يتطلّع من أعلى النافذة . ينظر الإقطاعيُّ المتسوّلُ وهو فاغرٌ فاه ، ويصمت) .

الإقطاعي المتسوّل ، وقد عادتْ إليه ثقتُه بنفسه : يا إلهي هذا أنا الذي هناك ! في هذا البيت ! هذا أنا آخر في النافذة . لقد جُننْتُ ! ماذا جرى ؟

الإقطاعي ، من النافذة ، ويشير بيده : دعوا المتسوّلين يَدْخلون . هذا لهم . (يَرْمي بكيس مملوء نقوداً) . ليُغنِّ المتسوّلان والأعمى ، وقدّموا لهم الطعام . وَلْيدْخُلْ بيتي ذاك الذي يحمل كيساً .

(يترنم المتسوّلون بصلواتهم) .

اللوحة التاسعة

المشهد – ١ –

« غرفة في داخل قصر الإقطاعي . الإقطاعي المتسول وحده على المائدة والخدمُ يخدْمونه » .

الإقطاعي المتسوّل : ماذا يمكن أن يَعْني ذلك ؟ أنا آخر في النافذة !
ما أصفى وجهه وما أعظم الطيبة التي تَشيعُ فيه !
لقد تصدّى للدفاع عني وسمح لي أن أدخل قصره . لم أبلغْ إذنْ غايةَ شقائي . انتهتْ حياتي . لن يتعرّف عليّ أحد أبداً ! قَدَري أن أموتَ في الفقر . لكنْ ، يا للسماء ! أية أعجوبة ! أية معجزة !

(يظهر النورُ ، ويخرج من هذا النور صوتٌ يقول) :

الصوت : أتعرف ذلك السيد الجاحدَ ؟ كان سيداً قوياً ، غنياً ، ومتكبراً ، أتعرفه ؟ وهو لم يؤمن بكلام الإنجيل وكان يؤكّد أن الغنيّ لا يمكن أن يفتقر . أتعلم الآن ما نفعُ الغنى في هذه الدنيا ؟ أتعلم أنه لا يمكن الاتّكالُ عليه ؟ أأدركتَ أن ذلك كله لم يكن سوى خيال زائل ؟ وهل أدركتَ لمَ أتَتْكَ هذه الرؤيا ؟ هل تتوبُ عن كبريائك ؟ هل ثبتَ من غطرستك ؟

الإقطاعي: نعم ! لقد ثبتُ ولا أريد أن أعيش بعد الآن كما كنتُ أعيشُ في الماضي .

الصوت : عُدْ سيّداً من جديد وكن جديراً بمركزك .

(تتحول ثيابُ الإقطاعي وتغدو جميلةً وفخمةً ؛ تدخل زوجتُه وتقبّله بحنان . يُحيّيه الخدم باحترام) .

اللوحة العاشرة

« مائدة يُقدَّم عليها الطعامُ ببذخٍ ، وحولها يجلس المتسوّلان ، بينما يخدمهما الإقطاعيّ وزوجته » .

ستار